النقد البلاغي

د.فتيحة حسيني

(سنة أولى نقد قديم – فرع 2)

إن علاقة البلاغة بالنقدعلاقة جدلية، تربط بين الطرفين فوجود أحدهما شرط لوجود الآخر، فلا وجود للنقد بدون نص أدبي الذي تعتبر البلاغة عنصرا مهما فيه.

إن أصول النقد والبلاغة تشهد بامتزاجهما في طورالنشأة والتكوين، بل تؤكد على وحدة هدفهما واشتراكهما في نقطة الانطلاق و مجال العمل. وهذا الامتزاج جعل من العسير الفصل بينهما في مرحلة البدايات، فقد تداخلت المباحث البلاغية والنقدية تداخلاً يصعب معه وضع الفواصل والحدود بما يميز كل علم عن الآخر قبل مرحلة التقعيد. ولعل من أسباب ذلك أن النقد لم يظهر – عند ظهوره – علمًا مستقلاً بداته، ولم تظهر البلاغة - عند ظهورها – علمًا مستقلاً بنفسه، وربما لم يظهر غيرهم من العلوم علمًا مستقلاً بنفسه أيضًا؛ وذلك يعود إلى طبيعة التأليف في العلوم في المرحلة الأولى التي تم فيها تثبيت المعالم الأولية لكل علم. فكان النقد نقدًا بلاغيًا، والبلاغة بلاغة نقدية، بمعنى اعتماد النقد على مقولات البلاغة، واعتماد البلاغة على الحس النقدي، لذا كان النقد العربي القديم، في غالبه نقدًا بلاغيًا .

لقد كانت انطلاقة البلاغة والنقد من نقطة واحدة، هي (الأدب) واشتراكهما فيه، أدى إلى تداخلهما، ولا سيّما في التراث العربي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإسلامي، الذي امتزجت فيه المباحث البلاغية والنقدية، فالنقد نقد بلاغي والبلاغة بلاغة نقدية، بمعنى اعتماد النقد على مقولات البلاغة، واعتماد البلاغة على حس نقدي، لذا كان النقد العربي القديم، في الغالب نقدا بلاغياً.

المصادر الأولى للنقد والبلاغة

في عصر ما قبل الإسلام كانت المعارف تُنْتَجُ شفاها ، وتُتلقى سماعا(لتحفظ ، فكان عصر ما قبل الإسلام عصر الفصاحة والبلاغة، منه انحدرت الأصول التي اعتمدها العلماء فيما بعد كمقاييس ، قاسوا بها الكلام العربي ، والأدب العربي ، وخاصة الشعر ، فقد اشتهر العرب في هذا العصر بالفصاحة والبلاغة.

طائفة علماء الكلام

لم تقتصر طائفة اللغويين في احتضانها للبلاغة وحدهم فقط ، بل كانت هناك طائفة أخرى أبعد أثرا ،في مصطلحات البلاغة ، وإقامة دعائمها .

إن المقصود هنا بطائفة المتكلمين هم العلماء الذين اهتموا بما يسمى (علم الكلام) ومنهم الأشاعرة والمعتزلة مما نتج عن الخلاف بينهما التأثير الكبير في قضايا النقد والبلاغة خاصة ما يتعلق بقضية اللفظ والمعنى .والتي سبق وأن تناولناها في محاضرة سابقة.

اندماج النقد بالبلاغة

كانت علاقة علماء اللغة والشعراء والمتكلمين مجتمعة في حيز واحد وهو التمييز بين الكلام الجيد والكلام الرديء وهذا هو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مفهوم النقد أو الاقتدار على صنع كلام جيد، من الشعر أو النثر وهذا هو مفهوم البلاغة وبذا امتزج النقد بالبلاغة.

نشأة المصطلحين النقدي والبلاغي

حتى ندرك طبيعة العلاقة بين المصطلحين لابد أن نتساءل أيهما نشأ في الأول المصطلح النقدي أم المصطلح البلاغي ؟

وما هي العلاقة التي تربطهما ؟

وللإجابة يمكن القول : خلال عصور الأدب المختلفة لم يكن هناك فصل بين النقد والبلاغة ، فقد ظلت القواعد البلاغية مختلطة بمسائل النقد الأدبي حتى القرن الرابع الهجري إلى أن جاء أبو الهلال العسكري في كتابه الصناعتين فكان هذا الكتاب نقطة تحول ففصل الفنين وأولى البلاغة عناية كبيرة .وعليه يمكن القول إن البلاغة والنقد هماً علمان يكمل أحدهما الآخر، فالبلاغة هي التي تصور عمق النقد العربي ,كما كانت البلاغة عبر قرون طويلة رافداً من الروافد التي غذّت النقد بمصطلحات جديدة ومفاهيم متطورة وساعدت على كشف خصائص النص ، وكان النقد بدوره عاملا من عوامل توسيع مباحث البلاغة وتطوير مناهجها لذا يبقى الفصل بين النقد والبلاغة أمرا صعبا.

البلاغة في اللغة

إن البلاغة في الأصل اللغوي تعني الانتهاء والوصول ، يقال : بلغ الشيء أي وصل إليه ، وانتهى إليه ، وتبلَّغ بالشيء وصل على مراده ، والبلاغ ما يُتَبَلَّغ به ، ويُتوصل إلى الشيء المطلوب

البلاغة في الاصطلاح

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذهب القزويني إلى أن البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته ، فالبلاغة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى والتركيب .

النقد البلاغي

يعدّ النقد البلاغي جانباً من جوانب النقد العربي القديم، و هو مستوى فني من المستويات التي تبحث عنها اللغة بمعناها العام، و لغة الأدب على وجه الخصوص، و يسعى إلى الكشف عن القيم الفنية و الأبعاد الجمالية في النصوص الأدبية شعرية كانت أم نثرية ، فيصدر فيها حكما نقديا يعتمد على البلاغة و علومها كالبيان و المعاني و البديع ...و ثمّة وقفات رائدة للنقاد القدامى في القرون الأولى عند الأخيلة و الصور و المحسنات من خلال مقاربة النصوص الإبداعية و تحليل مكوناتها و عناصرها .

وظيفة النقد

لاشك أن للنقد وظيفة وغاية يمكن تلخيصها فيما يلي :

- دراسة العمل الأدبي وتمثّله وتفسيره وشرحه.

- تحديد ما أضافه في التراث الأدبي في لغته.

- لا يقف عند بيان المساوئ والمحاسن، وإنما يتعدى ذلك إلى اقتراح ما ينهض بالأدب ويوسع من آفاقه .

الفروق بين النقد و البلاغة

فالبلاغة علم تعليمي - يعلمنا كيف نعبر عن المعاني تعبيراً محددا لها - وكيف نريد من تبيين المعني والعاطفة وكيف ننسق الأسلوب والصياغة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- أما النقد الأدبي فهو علم وصفي ، فهو يتضمن أصولاً وقواعد نقدية تطبق على النص الأدبى عند تقويمه - بعد تحليله وتفسيره ، ثم يكون الحكم له بالجودة ، أو عليه بالرداءة .

بالرغم من علاقة البلاغة والنقد داخل إطار أدبي واحد وهو النص الأدبي ، إلا أنهما يتميزان في العلم والفن ، فالبلاغة علم يقوم على ضوابط وتفصيلات وتحكم مقولاتها قيود منطقية ، والنقد فن يقوم على التحليل وما داما يلتقيان في منطقة النص الأدبي فتحضر مقولات بلاغية في النقد وتُؤدى عمليات نقدية في البلاغة،

مما ينتج فنا نقديا بذوق علم بلاغي، وعلما بلاغيا بذوق فن نقدي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

محاضرة أعلام النقد فى المشرق العربى

د.فتيحة حسينى

(سنة أولى - فرع2)

عبدالقاهر الجرجاني (400 – 471هـ/ 1010 – 1078م)

يُعد عبدالقاهر واحدًا من الذين تفخر بهم الحضارة الإسلامية في مجال الدرس اللغوي والبلاغي،والنقدي إذ تقف مؤلفاته شامخة حتى اليوم أمام أحدث الدراسات اللغوية، ويُعد كتابه دلائل الإعجاز قمة تلك المؤلفات؛ حيث توصل فيه إلى نظريته الشهيرة التي عُرفت باسم نظرية التعليق أو نظرية النظم، التي سبق بها عصره، ومازالت تبهر الباحثين المعاصرين.

اسمه وكنيته:

هو أبوبكر, عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني,. فارسي الأصل، جرجاني الدار، شيخ العربية, ومؤسس البلاغة العربية. ولد بمدينة جرجان, في مطلع القرن الخامس للهجرة. كان منذ صغره محبًّا للعلم، مكبا على التعلّم, ، فقرأ للكثيرين ممن اشتهروا باللغة والنحو والبلاغة والأدب، كسيبويه والجاحظ والمبرّد وابن دُرَيْد وغيرهم.

أساتذته:

أَخذ النَّحو بجُرْجَان عن أَبي الحسينِ محمَّدِ بن حسنِ ابن أُخْت الأُستاذ أَبي عليّ الفارسيّ.وأخذ العلم عن خاله الشيخ أبي علي الفارسي. كما أخذ الأدب على يد القاضي الجرجاني وقرأ كتابه "الوساطة بين المتنبي وخصومه". والى ذلك يشير ياقوت فيقول: "وكان الشيخ عبدالقاهر الجرجاني قد قرأ عليه، واغترف من بحره، وكان اذا ذكره في كتبه تبخبخ به، وشمخ بأنفه بالانتماء اليه" (معجم الأدباء: 16/14).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتتلمذ عبدالقاهر على آثار الشيوخ والعلماء الذين انجبتهم العربية، كسيبويه والجاحظ وأبي علي الفارسي وابن قتيبة وقدامة بن جعفر والآمدي والقاضي الجرجاني وأبي هلال العسكري وأبي أحمد العسكري و عبدالرحمن بن عيسى الهمداني والمرزباني والزجاج.

وقد ترك عبدالقاهر الجرجاني آثاراً مهمة في الشعر والأدب والنحو وعلوم القرآن.

إنجازاته:

يعتبر مؤسس علم البلاغة، أو أحد المؤسسين لهذا العلم، ويعد كتاباه: (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) من أهم الكتب التي أُلفت في هذا المجال، وقد ألفها الجرجاني لبيان إعجاز القرآن الكريم وفضله على النصوص الأخرى من شعر ونثر.

نظرية النظم عند عبدالقاهر:

و من إنجازات الشيخ العلمية العظيمة نظرية النظم, و مفادها أن ترتيب الكلمات و الجمل يحمل في طياته قيماً تزيد كلما كان الكلام أكثر إتقاناً و تعبيراً عما في نفس القائل.

ومجمل نظريته أنه لا اعتداد بمعاني الكلمات المفردة إن لم تنتظم في سياق تركيبي، وهو ما يعرف بالنحو، فهو يرى أن الدلالة المعجمية معروفة لمعظم أهل اللغة, ولكن دلالة اللفظة التي تكتسبها خلال نظمها في سياق تركيبي هي التي يسعى إليها مستخدم اللغة، لاختلاف دلالة اللفظة تبعًا للتركيب النحوي الذي تنتظم فيه، والمواضع المختلفة التي تحتلها في السياقات الناتجة عن أصل سياقي واحد.

مؤلفاته:

منها المغني في شرح الإيضاح ، وكتاب الجمل ،و " العمدة في تصريف الأفعال "، و " العوامل المائة "، و " درج الدرر في تفسير الآي و السور "، و دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة.

- دلائل الإعجاز :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أراد عبدالقاهر بكتابه دلائل الإعجاز أن يرد على من كانوا يرجعون إعجاز القرآن إلى الألفاظ، ورفض أن يكون الإعجاز راجعًا إلى المفردات أو حتى معانيها؛ أو جريانها وسهولتها وعذوبتها وعدم ثقلها على الألسنة. كما رفض أن يكون الإعجاز راجعًا إلى الاستعارات أو المجازات أو الفواصل أو الإيجاز، وإنما رد إعجاز القرآن إلى حسن النظم.

- أسرار البلاغة :

و يُعتبر أساس علم البلاغة, إذ قد وضع فيه هذا العالم الجليل الأصناف المعروفة للتراكيب اللغوية البلاغية (كالاستعارة و التشبيه و المجاز و غيرها), وهو ما لم يسبقه إليه أحد أيضاً. بدأ كتابته بالحديث عن اللفظ والمعنى وبعض صور البديع كالسجع والتجنيس والتطبيق ثم تكلم على الاستعارة .

استطاع عبد القاهر الجرجاني أن يجمع شتات ما بحث فيه السابقون من خلال كتابي (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) ويوحد بينهما في إطار (نظرية النظم) ، وأن يضع الحدود والرسوم الواضحة والتقسيمات القائمة على استقراء النصوص .

أثبت عبد القاهر بأن يكون أكبر بلاغي ناقد عند العرب ، واضح التأثير في البلاغين والنقاد " ولا يكاد أحد من بعده يخرج على قواعد أصوله .

ابن سلاّم الجمحى

هو محمد بن سلام الجمحي (ت 231 هـ) ينتمي زمنياً إلى القرن الثاني الهجري . وقد تتلمذ على يد علماء اللغة والنحو والرواية .
على أن شهرة محمّد بن سلاّم الجمحي و قيمته في تاريخ الأدب و النقد و في تاريخ التأليف العربي ترجعان إلى كتابه الذي وصل إلينا باسم طبقات فحول الشعراء والذي يعد بحق الخطوة المنهجية الأولى في جمع ما تبعثر من ملاحظات نقدية سابقة له وإخضاعها لمقاييس الناقد .

ومن مؤلفاته :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كتاب الفاصل في ملح الأخبار.
كتاب بيوتات العرب.
كتاب طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين.
كتاب الحلاب وأجر الخيل .
كتاب غريب القرآن.

أهمية وجود الناقد المختص عند ابن سلام

يرى ابن سلام أنه لابد للشعر من نقاد محترفين ، ورواة معتمدين يرجع إليهم عند الحاجة فهو يرى أن الناقد يعرف بالمعاينة.
هناك معايير حددها ابن سلام ضرورية عند اختيار الشعراء أثناء تصنيفهم في الطبقات أهما:

- قدم الشاعر
- الكم الشعري
- الجودة
- تعدد الأغراض الشعرية
- صدق العاطفة

اعتمد ابن سلام منهجا استنباطيا في الرد على قضية الانتحال أساسه العقل والمنطق وإشارات من القرآن الكريم،ومنهجا انطباعيا في تصنيف الشعراء إلى طبقات أساسها الذائقة النابعة من التجربة والخبرة ، ففي كل عصر يذكر الانتحال أو تصنيف الشعرإلا و يذكر ابن سلام وكتابه (طبقات فحول الشعراء).

يمثل محمد بن سلام الجمحي امتداداً لمدرسة القدماء في نقد الشعر ونعني بهم الرواة واللغويين والنحويين، و ُيعد ابن سلام خاتمة لتلك المدرسة حيث أنها أخرجت لنا أول كتاب في النقد القديم تمكن فيه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من جمع كثير من آراء وملاحظات تلك المدرسة واستطاع بلورتها وترتيبها وإخراجها في كتاب.

من إضافات ابن سلاّم

إن عمل ابن سلام من خلال نقده للشعر والشعراء مبادرة قيمة ومتنوعة ، من خلالها توصل إلى تمييز الشعر صحيحه و منحوله ، ووظف عددا من المقاييس النقدية التصنيفية وهي :

- التصنيف الزماني
- التصنيف المكاني
- التصنيف الفني
- التصنيف العقائدي

إلى جانب الأحكام والآراء الشخصية النّيرة في الشعر،التي قدمهاوقد صدر في تحقيقه للنصوص عن مذهب صحيح .

ورغم الانتقادات الموجهة للكتاب يبقى كتاب (طبقات فحول الشعراء) لابن سلام مرجعا أساسيا في تاريخ الأدب و النقد بنصوصه (المحققة) وأول كتاب للنقد المنهجي على أسس علمية.

ابن قتيبة

نستطيع القول بأنه موسوعة كاملة متكاملة " هو الإمام البارع المفسر المحدث الفقيه القاضي اللغوي النحوي الأديب الكاتب أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)

ابن قتيبة الناقد

عرف بمصنفه (الشعر والشعراء) والذي يعتبر من المصادر الأولى في الأدب العربي وكتابه أدب الكاتب، ومن كتبه القيمة (كتاب أبيات المعاني) هدفه هو إفادة ناشد العلم .كذا (كتاب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإبل) يحتوي على أنواع من الأشعار و(كتاب الخيل) حيث تناول أوصافها بدقة هائلة ، محاسنها ومساوئها ، وكتب أخرى على سبيل المثال لا الحصر : كتاب السباع – كتاب الطعام والضيافة – كتاب الذباب – كتاب الحرب- كتاب الميسر- الخ...

أهم القضايا النقدية عند ابن قتيبة

- اللفظ والمعنى - الطبع والصنعة - دواعي الشعر- أقسام الشعر وتنويعه.- السرقات النقدية .- عيوب الشعر.

كما تميز ابن قتيبة بمقياس خاص في نقد الشعر ، ففي مقدمة (الشعر والشعراء) بين ابن قتيبة مقياسه في نقد الشعراء وهو مقياس اختلف كل الاختلاف عن مقياس النحاة واللغويين الذي كان بدافع التعصب للقديم مطلقا ، فهو دعا إلى عدم التفريق بين القديم والمحدث وعنده (كل قديم كان حديثا في زمنه.)

أما البلاغة عند ابن قتيبة نجدها في كتابه (تأويل مشكل القرآن) ، كما تناول موضوعات علم المعاني.

الآمدي

هو أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمَّد بن سالم التغلبي، سيف الدين الآمدي، الفقيه الأصولي، قال سبط ابن الجوزي: «لم يكن في زمانه من يجاريه في الأصلين وعلم الكلام»، توفي سنة (٦٣١هـ).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مؤلفاته

المؤتلف والمختلف: في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم،و الموازنة بين البحتري وأبي تمام. وهو أشهر كتبه، ومعاني شعر البحتري،والخاص والمشترك في معاني الشعر،ونثر المنظوم، وتبيين غلط قدامة بن جعفر في كتاب نقد الشعر،وتفضيل شعر امرئ القيس على الجاهليين.

- كتاب فعلتُ وأفعلتُ
- ديوان شعر نحو 100 ورقة

يعتبر كتاب الآمدي من أهم مصادر الأدب والنقد إذ أنه يضم بين دفتيه مادة خصبة من الشعر وآراء النقاد من أنصار وخصوم للشاعرين (أبو تمام والبحتري) حيث حاول أن ينتهج في دراسته المنهج الموضوعي ولا يميل إلى احد الطرفين ، ولقد استطاع أن يصل إلى الخصائص الأسلوبية التي تميز شعر الشاعرين .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

محاضرة فى النقد العربى القديم

قضية الوضوح والغموض

د. فتيحة حسيني

(سنة أولى - فرع2)

من المعلوم أن لغة الشعر تختلف عن لغة النثر ، لأنها لغة الإيجاز ، فهي لغة مشحونة بالمعاني ؛ ومن هذه المعاني ما هو مكشوف ، ومنها ماهو باطن يحتاج إلى الكشف . ومن هنا جاء النقد العربي القديم يطرح مسألة الوضوح والغموض في الشعر العربي .

مفهوم الغموض في اللغة

تناولت المعاجم العربية القديمة لفظ الغموض من خلال استخداماته اللغوية المختلفة، فالغموض في اللغة مصدر من غمض (بفتح الميم وضمها) وكل ما لم يصل إليك واضحاً فهو غامض، ولذلك فالغامض من الكلام خلاف الواضح، كما يقال للرجل الجيد الرأي: قد أغمض النظر. والمسألة الغامضة: هي المسألة التي فيها دقة ونظر.

وقد نال مصطلح الغموض كثيرا من القلق والاضطراب أكثر من أي مصطلح نقدي آخر لارتباطه بجوهر العمل الفني من حيث المؤلف والنص والمتلقي. ويعود هذا القلق والاضطراب إلى الاختلاف في تحديد مفهومه، ومعرفة غايته وأهميته، كما تعود إشكالية تحديد مصطلح الغموض إلى مرادفاته اللغوية الكثيرة مثل التعمية والإبهام والاستغلاق والألغاز وغيرها من التسميات التي ربما يضلل بعضها المتلقي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الغموض في النقد العربي القديم

إن الغموض ليس معناه التعقيد ، أو الإبهام ، وإنما هو القدر الذي يحتاج إليه الشاعر ليعبر عما يريد ، ويعرض صوره بثوب بديع ، وهو يعطي النص تفسيرات مختلفة تذهب النفس فيها كل مذهب ، على أن يكون من التعقيد الذي قالوا أنه يستهلك المعنى.

أهمية الوضوح

يعتبر الوضوح من أهم جماليات التعبير وأهم أركان الأسلوب، وعلى الكاتب واجب نحو القراء لا ينبغي أن يغفله ، وهو أن يكون واضحا في كلامه ولا يكلفهم من كد النظر إعمال الفكر ما يشق عليهم

الوضوح والغموض في ا النقد العربي القديم

إن قضية الوضوح والغموض تعد مسألة جوهرية من قضايا النقد الأدبي ، وهي من أهم دوافع الحراك النقدي في القديم والحديث، فهي تشكل علامة بارزة في الدرس النقدي.

قضية الوضوح والغموض في الشعر قضية قديمة قِدم الشعر نفسه، جذورها ضاربة في أعماق القِدم منذ نشوء الأدب في العصر الجاهلي، حيث كانت السمة الغالبة على الأدب آنذاك الوضوح نظراً، لأن تفكير العربي بعفويته يميل إلى الوضوح وينفر من الغموض، حيث كانت الحياة البدوية الساذجة لها أثرها في طبع فكر البدوي بالبساطة والوضوح، فجاء تبعاً لذلك أدبه بعيداً عن التعقيد قريباً إلى الوضوح نظراً لبساطة الحياة التي يعيشها في أحضان الطبيعة المكشوفة، مما قد يُعد سبباً يُفسر به صفاء فكر العربي ووضوحه بشكل عام، لكن وإن كان الوضوح هو السمة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الغالبة في الشعر فقد تسرَّب شيء من الغموض إلى الشعر في مرحلة من مراحل .

ثم برزت قضية الوضوح والغموض بشكل عميق في العصر العباسي مع ظهور المحدثين ومذهبهم في الصنعة والبديع، وأشار النقد إلى أبي تمام على وجه الخصوص بأنه شاعر يؤثر الغموض، إذ يعقد المعنى، ويبالغ ، ويبعد في الصور، ويستعمل الغريب من الألفاظ.وخير دليل على ذلك الحوار الذي دار بينه وبين ناقديه أبي سعيد الضرير وأبي العميثل عندما استمعا إلى شعره فقالا له: "لم لا تقول ما يُفهم؟" فكانت إجابته التي استُظرفت: "لم لا تفهمان ما يقال؟".

يميل أصحاب البحتري إل حلاوة اللفظ، وحسن التخلص، ووضع الكلام في مواضعه، وصحة العبارة، وقرب المأتى، وانكشاف المعاني. أمّا أصحاب أبي تمام فيميلون إلى غموض المعاني ودقتها.. مما يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج .

لهذا، عاب أصحاب أبي تمام مَن أعرض عن شعر صاحبهم، بعدم الفهم وقصور العلم، ويستشهدون على دعواهم بابن الأعرابي، الذي كان يردّ على (أبي تمام) من معانيه ما لا يفهمه، ولا يعلمه، فكان إذا سُئل عن شيء منها، يأنف أن يقول: لا أدري، فيعدل إلى الطعن عليه.

وأصحاب أبي تمام يعترفون بأن صاحبهم قد أتى في شعره بمعان فلسفية، وألفاظ غريبة، فإذا سمع بعض شعره الأعرابيّ لم يفهمه، فإذا فسّر له فهمه واستحسنه.

ويرد أصحاب البحتري ليردّوا على خصومهم دعاواهم، فالعلماء الذين يقصر عليهم فهم شعر صاحبهم، هاجموا أبا تمام شرّ هجوم. أما قصور فهم ابن الأعرابي عن شعر أبي تمام، فالعيب والنقص

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في ذلك يلحقان أبا تمام، إذ عدل عن المحجة إلى طريقة يجهلها ابن الأعرابي وأمثاله. هذا، على حين تعمّد (البحتري) حذف الغريب والوحشي من شعره، ليقرّبه على فهم من يمدحه لهذا، وقع الإجماع على استحسانه واستجادته، وروى شعره واستحسنه سائر الرواة، على طبقاتهم واختلاف مذاهبهم. فمن اتفق عليه الناس جميعاً،هو أولى بالفضل، وأحقّ بالتقدمة.

إن الحجج التي تقدّم بها الطرفان المتخاصمان، تضعنا أمام قضايا هامة في النقد العربي القديم.وهي أن جودة الشعر في نظر أنصار القديم رهينة تقبل الناس ، فمن قبل الناسُ شعرَه هو دون شك أفضل. هذا يعني يستوجب على الشاعر ، أن يتفق شعره وذوق المتلقين. وحتى يتم ذلك، ينبغي أن يكون واضحاً مفهوماً، وهذا ما فعله البحتري حين تعمّد حذف الغريب والوحشي من شعره.

ولو تكلمنا عما طرحه النقاد عن الغموض، نجد أن صاحب الفكر الثاقب عبد القاهر الجرجاني (471هـ) ينظر لقضية الغموض في الشعر بعين الاعتدال فقد استحسن الغموض في الشعر وليس بأي غموض، بل ذلكم الغموض المبني على التعقيد الفني الذي ينم عن قدرة فنية فذة، فرأى أن وضوح المعنى لا يتعارض مع المعنى اللطيف الذي يتوصل إليه بشيء من التفكير فيؤسس الجرجاني لفكرته هذه ليصل إلى ما مفاده أن الصورة لا بد أن تتميز بشيء من الغموض من خلال تباعد أطرافها مع كون هذا التباعد مقبولاً عقلاً ولذلك فعبد القاهر يشبه هذا النوع من الغموض في الصورة والغوص على معناه بالجوهرة النفيسة داخل الصدفة فلا يحصل عليها إلا ببذل الجهد لشق هذه الصدفة.

ظل النقد العربي، بل الثقافة العربية الإسلامية عامة، تميل إلى الوضوح، وتحث عليه، وتعيب الغموض والتعقيد بأشكالهما كافة، وتستهجن كل ما يمكن أن يكون سبباً فيهما: كوحشي الألفاظ،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وغرابة المفردات، والمعاظلة في التركيب، والتقديم والتأخير من غير سبب بلاغي، والبعد في الاستعارة، وعدم المقاربة في التشبيه وإدخال الفلسفة والمنطق، وما شاكل ذلك.

قال بشر بن المعتمر: «إن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك، واقتدارك في نفسك، على أن تفهم العامة معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ المتوسطة التي لا تلطف على الدهماء، ولا تجفو عن الأكفاء، فأنت البليغ التام.

وتحدث بشر عن ثلاثة منازل للمعاني، وجعل «أولى ذلك أن يكون لفظك رشيقاً عذباً، وفخماً سهلاً، ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً، وقريباً معروفاً، أما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت، وأما عند العامة إن كنت للعامة أردت.

وسئل بعض العلماء: ما الشعر عندك؟ قال: السهل الممتنع.

وقال أبو هلال العسكري: "من أراد الإبانة في مديح أو غزل أو صفة شئ، فأتى بإغلاق، دل ذلك على عجزه عن الإبانة".

وقال الآمدي في التعقيب على بيت أبي تمام:

جهمية الأوصاف إلا أنهم قد لقبوها جوهر الأشياء

مازلت أسمع الشيوخ يقولون: هذا البيت من تخليطه ووساوسه، لأن الشعر أنما يُستحسن إذا فُهم. وهذه الأشياء التي يأتي بها منغلقة، ليست على مذهب الأولين والمتأخرين.

وذكر الثعالبي من عيوب المتنبئ استعماله لألفاظ المتصوفة، واستعمال كلماتهم المعقدة، ومعانيهم المغلقة، من مثل قوله في وصف فرس:

وتسعدُني في غمرة بعد غمرة سبوحٌ لها منها عليها شواهد

كما عد من عيوبه - بسبب تعقيده - ا لخروج عن طريق الشعر إلى طريق الفلسفة.

ودعا النقاد الشعراء أن يجتنبوا من القول كل ما يُعتذر عن عدم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وضوحه. قال أبو بكر الشنتريني: "الأولى بالشاعر أن يجتنب كل ما اعذر منه، فقد قيل: شر الشعر ما سئل عن معناه، وأحسنه ما كان لفظه إلى سمعك أقرب من معناه إلى قلبك."

وتحدثت طائفة من العلماء عن الصور الفنية التي يأتي بها الشعراء، فربطوا جمالها بالوضوح، وقدرتها على كشف الغامض، قال الرماني :"التشبيه الحسن هو الذي يخرج الأغمض إلى الأوضح. والقبيح خلافه. وأحسن التشبيه ما قارب الحقيقة وكان أبلغ منها.".

وقال أبو بكر الشنتريني: كلما بعدت الاستعارة عن الحقيقة قُبحت، كقول بعضهم:

اسفري لي يا ضرّة الشمس

كأنه توهم أن الضرة لا تكون إلا حسنة. وهذا وهم شديد، وتوهم غير سديد.. ومن قبيح الاستعارة قول بشار:

وجدت رقاب الوصل أسياف هجرها

وقدت لرجل البين نعلين من رجلي

فجعل للوصل رقاباً، وللبين رجلاً. وهذا بعيد جداً .

وعرف الشعراء أن رواج شعرهم عند المتلقي مقرون بالوضوح

وقال البحتري يمدح قصائده بالابتعاد عن الغموض والتعقيد:

خزن مستعمل الكلام اختيارا وتجنبن ظلمة التعقيد

وركبن اللفظ القريب فأدركن به غاية المراد البعيد

مفهوم الوضوح

ما مفهوم الوضوح الذي هو سمة عامة من سمات الفكر العربي الإسلامي؟ وما صلته بمصطلحات كثيرة قد تلتبس به؟

ان الوضوح لا يعني السطحية والابتذال كما قد يظن بعضهم، وهو لا يتنافى مع الإيحاء والإشارة ولغة المجاز والتصوير، بل أن الأصل في لغة الأدب عامة، والشعر خاصة، أنها لغة تصويرية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مجازية، تعتمد التخييل، وتقوم على التجسيد والتشخيص.
قال الجاحظ "إنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير"
وقال ابن سينا: "الشعر كلام مخيل، مؤلف من أقوال موزونة متساوية. وعند العرب مقفاة."
وكان النقاد يدركون خصوصية لغة الشعر، وتميز لغة الشعراء من لغة الكلام العادي .ان الشعراء - كما يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي-: أمراء الكلام، يصرفونه أنى شاؤوا، ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم: من إطلاق اللفظ وتقييده، ومد المقصور، وقصر الممدود، والجمع بين لغاته، والتفريق بين صفاته، واستخراج ما كلت الألسن عن وصفه ونعته، والأذهان عن فهمه وإيضاحه. ولو أراد أن يعبر عن قول امرئ القيس:
فدع عنك نهبا صيح في حجراته
بالعربية - فضلاً عن غيرها - لطال عليه.
وقال ابن رشد: والأقاويل الشعرية هي الأقاويل المخيلة.«..
وقد أجمع النقاد والبلاغيون العرب على أن التعبير المجازي أبلغ من التعبير الحقيقي، وأن الكناية - ومن ضروبها الرمز - أبلغ من التصريح.
فالوضوح الذي يتصف به الفكر النقدي العربي لا يعني السطحية، والتعبير المباشر، وأداء المعنى بشكل مبتذل رخيص، أو تقريره في الذهن تقريراً ساذجاً كما تقرر الأقوال العادية في لغة الخطاب اليومي؛ إن الوضوح الذي هو من صفات البيان العربي ليس شيئاً من ذلك، ولكنه يعني في مفهومه العام بلوغ النص المتلقي، ووصوله إليه، لأن من غايات اللغة - سواء أكانت عادية أم أدبية - الاتصال والإفهام.
ولكن من طبيعة القول الأدبي أنه لا يصل بسهولة، ولا يسلم نفسه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من أول سانحة، لأن لغته - في أصلها - شفافة كثيفة، إذ هي تستعمل فيه كثيرا من الإيحاءات، مما يجعل التعامل مع النص الأدبي - والشعري خاصة - تعاملاً غير ميسور للجميع، وهو يحتاج إلى غوص وتأمل، وإعمال فكر ، مرفوداً ذلك كله باستعداد ثقافي، وذوق نقدي، وملكة مدربة مصقولة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner